الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا من لدنك علمًا. ربي شرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقه قولي. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أما بعد، أيها الإخوة الأكارم، فنشرع اليوم في الحديث عن النوع الثاني مما يستحيل في حق مولانا تبارك وتعالى.

تكلمنا في الدروس الماضية عما يجب لله تبارك وتعالى من الصفات، وهي 20 صفة. واليوم نتحدث عما يستحيل في حق مولانا جل وعلا. وإذا وجبت لله تبارك وتعالى هذه الصفات، فيستحيل ضدها. والمصنف رحمه الله تعالى تابع الناظم في هذا الكلام، فقال: "وضدها أي ضد هذه الصفات عليه يستحيل، فإنه المنزه الجليل".

أي ضد هذه الصفات الـ 20 عليه يستحيل على مولانا تبارك وتعالى، يستحيل، فإذا ثبت الوجود لمولانا تبارك وتعالى استحال عليه العدم، وإذا ثبت القدم لمولانا تبارك وتعالى استحال عليه سبق الحدوث، وهكذا في بقية الصفات. نعم، والمستحيل كما قلنا هو ما لا يصح في العقل وجوده، فيستحيل في حق مولانا تبارك وتعالى كل نقص والعدم والفناء، وضد الصفات الثابتة والواجبة لمولانا تبارك وتعالى مستحيل.

فإذن، يقول "وضدها عليه يستحيل، فإنه المنزه الجليل". فإنه تعالى تبارك وتعالى تقدس وتنزه وتعظم سبحانه وتعالى عن النقائص جل وعلا. نعم، اقرأ لنا أخونا بسم الله الرحمن الرحيم، يقول المصنف رحمه الله ونفعنا الله بعلومه، وعلوم شيخنا، مبحث المستحيلات على الله عز وجل.

ولما فرغ الناظم من ذكر ما يجب لمولانا تبارك وتعالى، شرع يذكر ما يستحيل عليه، فقال عليه رحمة مولانا الكبير المتعال: "وضدها عليه يستحيل". فإن المنزه الجليل ضدها، ضد المقصود به هنا، أي المنافيين. فكل صفة ثبتت لمولانا يستحيل ضدها، وكل صفة واجبة لمولانا تبارك وتعالى تستلزم نفي ضدها لمولانا تبارك وتعالى. وضدها، أي الـ 20 صفة الواجب لمولى الخلق عليه سبحانه وتعالى يستحيل، والمراد بضدها ما يقابلها، أي ينافيها.

فإذا ثبت لمولانا تبارك وتعالى الوجود، استحال عليه العدم، وإذا ثبت لمولانا القدم استحال عليه الحدود. وإذا ثبت لمولانا تبارك وتعالى البقاء، استحال عليه الفناء، وإذا ثبت لمولانا تبارك وتعالى المخالفة للحوادث، استحال عليه المماثلة للحوادث. وكل مثل ذلك في بقية الصفات، فكل صفة واجبة لمولانا تبارك وتعالى تستلزم نفي ضدها. نعم، وهو 20 صفة أيضًا. فضد الوجود العدم. نعم، والعدم هو مستحيل في حق مولانا تبارك وتعالى.**

فيستحيل لمولى الخلق تبارك وتعالى العدم، فالله عز وجل لم يكن شيء غيره، وكان الله ولا مكان، ولا زمان. وقد ثبت بالبرهان وجوده تبارك وتعالى. وضد البقاء لحقوق العدم، ضد البقاء هو الفناء، وهو لحوق العدم، والله عز وجل واجب الوجود. ومن ثبت له القدم استحال عليه العدم، وقد ثبت أن وجود الله تعالى ذاتي لا مسبوق بالعدم، ولا انقضاء لوجوده تبارك وتعالى، فهو سبحانه وتعالى قديم باقٍ، هو الأول والآخر، وهو الذي يبدأ الخلق، ثم يعيده، كما قال تبارك وتعالى لحقوق العدم، ويعبر عنه بالفناء كل من عليها، فكل من في السماوات ومن في الأرض وكل مخلوق، فهو فانٍ.

وضد القدم الحدوث. نعم، والحدوث كما قال تعالى هو الأول، بمعنى عدم المسبوقية للوجود. فلا ابتداء له، ولا افتتاح لوجوده تبارك وتعالى، وقد ثبت بالبرهان العقلي والدليل النقلي قدماه سبحانه وتعالى. وضد المخالفة للحوادث المماثلة لها. نعم، فالله تبارك وتعالى يستحيل أن يماثل خلقه، لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، فالله تعالى ذاته لا تشبه ذات المخلوقين، ولا تماثلها، ولا صفاته، لا تماثل، ولا تشبه صفات المخلوقين، ولا تماثلها، وكذلك أفعاله جل وعلا.

وضد القيام بالنفس الذي هو الغنى المطلق، عدم القيام بالنفس، وهو الافتقار، وقلنا أن صفة القيام بالنفس آ، مقتضاها صلب افتقار الله تعالى إلى المحل، وإلى المخصص. فيستحيل لمولانا تبارك وتعالى أن يفتقر إلى المحل، أي إلى ذات يقوم بها، لأنه تعالى ذات ومتصف بصفات الجلال والإكرام، نزه عن صفات النقص والاحتياج.

وكذلك يستحيل في مولى الخلق تبارك وتعالى أن يفتقر إلى موجد وإلى فاعل يوجده ويخصصه، لأنه تعالى هو الوجود بلا بداية، والآخر بلا نهاية.

وهو واجب الوجود جل وعلا، وقد ثبت أن الله خالق كل شيء، وما دونه مخلوق. وضد الوحدانية التعدد، والشرك ثبتت وحدانية الله تبارك وتعالى. وهي كونه تعالى واحدًا في ذاته، واحدًا في صفاته، واحدًا في أفعاله. فالله تبارك وتعالى ليس له شريك في ذاته، وليس له مماثل لها، والله تبارك وتعالى ليس مركبًا من أجزاء، ومؤلفًا من جزئيات، وليس له شريك سبحانه وتعالى مع الباري.

وكذلك صفاته تعالى، فليستحيل أن يكون لله تعالى صفتان من جنس واحد، كقدرتين وإرادتين، وإنما هي قدرة واحدة متعلقة بجميع المقدورات، وإرادة واحدة قديمة متعلقة بجميع المرادات. وهكذا، وكذلك يستحيل أن يوجد من يشبه صفات الله، أي أن يوجد مع الله سبحانه وتعالى من يشبهه في صفاته. وأيضا يستحيل أن يوجد مؤثر مع الله تبارك وتعالى، فالله عز وجل هو الذي استقل بالإيجاد والإعدام والاختراع والتأثير في كل المكونات، وفي كل هذا العالم.

وضد العلم الجهل، وضد الإرادة الكراهة. فكل صفة واجبة لله تعالى يستحيل ضدها. فضد العلم الجهل، وضد الإرادة الكراهة. وهنا نشير إلى الكراهة أي عدم إرادته سبحانه وتعالى، لا الكراهة الشرعية. فالله عز وجل خلق الكفر، ولا يرضاه. فإنه قد منعه وحرمه أشد التحريم. فالكفر والشر هو من خلق الله تبارك وتعالى، ولكن الله تعالى لا يرضاه، لا بد أن نفرق بين الإرادة التي هي صفة لله تبارك وتعالى، وبين الكراهة التي هي النهي عن فعل شيء، لا يرضاه مولانا تبارك وتعالى، إما على سبيل الجزم أو لا على سبيل الجزم.

وضد القدرة العجز، فيستحيل أن يكون عاجزًا، لأنه لو كان عاجزًا، لما وجد هذا العالم. ولكن هذا العالم موجود، فثبت كونه تعالى قادرًا. وضد البصر العمى، نعم. وضد السمع الصمم، وضد الكلام البكم، وضد الحياة الموت. نعم، وأضداد كونه حيًا ومريدًا وقادرًا وعالمًا وبصيرًا وسميعًا ومتحدثًا، كون الله تعالى ميتًا، وكارهًا، وعاجزًا، وجاهلًا، وأعمى، وأصم، وأبكم.

وأدلة استحالة هذه الأضداد هي نفسها أدلة وجوب الصفات، فإن كل صفة ثابتة لمولانا تبارك وتعالى واجبة له، تستلزم نفي ضدها. وهذه الصفات ثبتت بالأدلة النقلية والبراهين العقلية. فإذا ثبت لهذه الصفات لمولانا تبارك وتعالى بالأدلة، استحال عليه أيضًا وجود تلك الأضداد. فلو لم يكن سبحانه وتعالى موجودًا لكان معدومًا، ولو كان كذلك، لما وُجد هذا العالم.

وبقية الأدلة التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى، وأدلة استحالة هذه الأضداد عليه سبحانه، هي أدلة وجوب الـ 20 صفة المتقدمة، لأن دليل كل صفة منها يثبتها وينفي ضدها. نعم، فالأضداد الـ 20 صورة مستحيلة عليه تعالى للأدلة المتقدمة، ولأن كلا منها نقيصة في حقه عز وجل. نعم، هنا إشارة إلى كذلك أن كل نقيصة أو كل نقص، فالله تعالى مستحيل أن يتصف به سبحانه وتعالى، فإنه المنزه الجليل، لأن النقص دليل الافتقار.

والافتقار دليل الاحتياج، والاحتياج دليل الحدوث، والله تعالى يستحيل عليه الحدوث، وقد ثبت بالبرهان وجوبه وجوده جل وعلا، واقتصاده ببقية الصفات. ولا يجوز أن يتصف بها، لأنه تعالى واجب الوجود وموصوف بالكمال.

لأنه تعالى يعني أن وجوب اتصافه بصفات الكمال، واستحالة ضدها، لأنه تعالى المنزه عن جميع النقائص التي منها الأضداد. الجليل، أي العظيم سبحانه، لا نحصي ثناء عليه. نعم، ثم قال بكل أوصاف الكمال قد وصفه قبال من له بهذا يعترف، فالله تعالى متصف بكل كمال.

فنحن ذكرنا وصول هذه الصفات التي دلت عليها البراهين العقلية والأدلة النقلية، ولكن قد ثبت لمولى الخلق سبحانه وتعالى صفات أخرى ترجع إلى هذه الصفات، فكل كمال واجب أن يتصف به سبحانه وتعالى، علمنا به أو لا نعلمه، علمنا به أو جهلناه، ويستحيل عليه سبحانه وتعالى كل نقص.

لمولانا تبارك وتعالى، بكل أوصاف الكمال، قد وصف طوبى لمن له بهذا يعترف، بكل أوصاف الكمال قد وصفت تعالى.

طوبى لمن له، بما ذكر من أنه سبحانه منزه عن هذه الأضداد، طوبة فيها بشارة لمن اعتقد هذا الاعتقاد الصحيح، حيث أثبت لمولانا تبارك وتعالى كل كمال ونزهه من كل نقص، وأنه سبحانه منزه عن جميع النقائص، وموصوف بكل أوصاف الكمال.

يعترف، أي يقر. وطوبى مصدر من الطيب أو شجرة في الجنة؟ نعم، وإنها إشارة إلى قوله تعالى: "الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب". نسأل الله عز وجل أن يحسن خواتيمنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. والحمد لله رب العالمين.